(١٠١) سورة القارعة مكية وآياتها إحدى عشرة

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما ختم السورة المتقدمة بقوله (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) فكأنه قيل وما ذلك اليوم ؟ فقيل هي القارعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ القارعة ، القارعة ، ما القاعة وما أدراك ما القارعة ﴾ اعلم أن فيه مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ القرع الضرب بشدة واعتماد ، ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة ، قال الله تعالى (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة) ومنه قولهم : العبد يقرع بالعصا ، ومنه المقرعة وقوارع القرآن وقرع الباب ، وتقارعوا تضاربوا بالسيوف ، واتفقوا على أن القارعة اسم من أسماء القيامة ، واختلفوا فى لمية هذه التسمية على وجوه (أحدها) أن سبب ذلك هو الصيحة التى تموت منها الخلائق ، لأن فى الصيحة الأولى تذهب العقول ، قال تعالى (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض) وفى الثانية تموت الخلائق سوى إسرافيل ، ثم يميته الله ثم يحييه ، فينفخ الثالثة فيقومون . وروى أن الصور له ثقب على عدد الأموات لكل واحد ثقبة معلومة ، فيحيى الله كل جسد بتلك النفخة الواصلة إليه من تلك الثقبة المعينة ، والذى يؤكد هذا الوجه قوله تعالى (ما ينظرون إلا صيحة واحدة ، فإنما هى زجرة واحدة) (وثانيها) أن الأجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكا شديداً عند تخريب العالم ، فبسبب تلك القرعة سمى يوم القيامة بالقارعة (وثالثها) أن القارعة هى التى تقرع الناس بالأهوال والإفزاع ، وذلك فى السموات بالانشقاق والانفطار ، وفى الشمس والقمر بالتكور ، وفى الكواكب بالانتثار ، وفى الجبال بالدك والنسف ، وفى الأرض بالطى والتبديل ، وهو قول الكلبى (ورابعها) أنها تقرع أعداء الله بالعذاب والخزى والنكال ، وهو قول مقاتل ، قال بعض المحققين وهذا أولى من قول الكلبى لقوله تعالى (وهم من فزع يومئذ آمنون) .

﴿ المسألة الثانية ﴾ فى إعراب قوله (القارعة ما القارعة) وجوه (أحدها) أنه تحذير وقد

يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾

جاء التحذير بالرفع والنصب تقول الأسد الأسد ، فيجوز الرفع والنصب (وثانيها) فيه إضمار أى ستأتيكم القارعة على ما أخبرت عنه فى قوله (إذا بعثر مافى القبور) (وثالثها) رفع بالابتداء وخبره (ما القارعة) وعلى قول قطرب الخبر .(وما أدراك ما القارعة) فإن قيل إذا أخبرت عن شيء بشيء فلابدوأن تستفيدمنه شيئاً زائدا ، وقوله (وما أدراك) يفيد كونه جاهلا به فكيف يعقل أن يكون هذا خبرا ؟ قلنا قد حصل لنا بهذا الخبر علم زائد ، لأنا كنا نظن أنها قارعة كسائر القوارع ، فبهذا التجهيل علمنا أنها قارعة فاقت القوارع فى الهول والشدة .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ قوله (وما أدراك ما القارعة) فيه وجوه (أحدها) معناه لاعلم لك بكنهها ، لأنها فى الشدة بحيث لايبلغها وهم أحد ولا فهمه ، وكيفما قدرته فهو أعظم من تقديرك كأنه تعالى قال : قوارع الدنيا فى جنب تلك القارعة كأنها ليست بقوارع ، ونار الدنيا فى جنب نار الآخرة كأنها ليست بنار ، ولذلك قال فى آخر السورة (نارحامية) تنبيهاً على أن نار الدنيا فى جنب تلك ليست بحامية ، وصار آخرالسورة مطابقاً لأولها من هذا الوجه . فإن قيل ههنا قال(وما أدراك ما القارعة) وقال فى آخر السورة (فأمه هاويه ، وما أراك ماهيه) ولم يقل وما أدراك ما هاوية فما الفرق ؟ قلنا الفرق أن كونها قارعة أمر محسوس ، أما كونها هاوية فليس كذلك ، فظهر الفرق بين الموضعين (وثانيها) أن ذلك التفصيل لا سبيل لأحد إلى العلم به إلا بأخبار الله وبيانه ، لأنه بحث عن وقوع الوقعات لا عن وجوب الواجبات ، فلا يكون إلى معرفته دليل إلا بالسمع .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ نظير هذه الآية قوله (الحاقة ، ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة) ثم قال المحققون قوله (القارعة ما القارعة) أشد من قوله (الحاقة ما الحاقة) لأن النازل آخراً لابد وأن يكون أبلغ لأن المقصود منه زيادة التنبيه ، وهذه الزيادة لاتحصل إلا إذا كانت أقوى ، وأما بالنظر إلى المعنى ، فالحاقة أشد لكونه راجعاً إلى معنى العدل ، والقارعة أشد لما أنها تهجم على القلوب بالأمر الهائل .

قوله تعالى : ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾

قال صاحب الكشاف : الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة ، أى تقرع يوم يكون الناس كذا .

واعلم أنه تعالى وصف ذلك اليوم بأمرين (الأول) كون الناس فيه (كالفراش المبثوث) قال الزجاج : الفراش هو الحيوان الذى يتهافت فى النار ، وسمى فراشاً لتفرشه وانتشاره ، ثم إنه

تعالى شبه الخلق وقت البعث ههنا بالفراش المبثوث ، وفى آية أخرى بالجراد المنتشر . أما وجه التشبيه بالفراش ، فلأن الفراش إذا ثار لم يتجه لجهة واحدة ، بل كل واحدة منها تذهب إلى غير جهة الأخرى ، يدل هذا على أنهم إذا بعثوا فزعوا ، واختلفوا فى المقاصد على جهات مختلفة غير معلومة ، والمبثوث المفرق ، يقال بثه إذا فرقه . وأما وجه التشبيه بالجراد فهو فى الكثرة . قال الفراء : كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضاً ، وبالجملة فالله سبحانه وتعالى شبه الناس فى وقت البعث بالجراد المنتشر ، وبالفراش المبثوث ، لأنهم لما بعثوا يموج بعضهم فى بعض كالجراد والفراش ، ويأكد ما ذكرنا بقوله تعالى (فتأتون أفواجاً) وقوله (يوم يقوم الناس لرب العالمين) وقوله فى قصة يأجوج ومأجوج (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) فإن قيل الجراد بالنسبة إلى الفراش كبار ، فكيف شبه الشيء الواحد بالصغير والكبير معاً ؟ قلنا شبه الواحد بالصغير والكبير لكن فى وصفين . أما التشبيه بالفراش فبذهاب كل واحدة إلى غير جهة الأخرى . وأما بالجراد فبالكثرة والتتابع ، ويحتمل أن يقال إنها تكون كباراً أولا كالجراد ، ثم تصير صغاراً كالفراش بسبب احتراقهم بحر الشمس ، وذكروا فى التشبيه بالفراش وجوهاً أخرى (أحدها) ماروى أنه عليه السلام قال « الناس عالم ومتعلم ، وسائر الناس همج رعاع » فجعلهم الله فى الآخرى كذلك (جزاء وفاقاً) (وثانيها) أنه تعالى إنما أدخل حرف التشبيه ، فقال (كالفراش) لأنهم يكونون فى ذلك اليوم أذل من الفراش ، لأن الفراش لا يعذب ، وهؤلاء يعذبون ، ونظيره (كالأنعام بل هم أضل) .

﴿ الصفة الثانية ﴾ من صفات ذلك اليوم قوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) العهن الصوف ذو الألوان ، وقد مر تحقيقه عند قوله (وتكون الجبال كالعهن) والنفش فك الصوف حتى ينتفش بعضه عن بعض ، وفى قراءة ابن مسعود : كالصوف المنفوش .

واعلم أن الله تعالى أخبر أن الجبال مختلفة الألوان على ما قال (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) ثم إنه سبحانه يفرق أجزاءها ويزيل التأليف والتركيب عنها فيصير ذلك مشابهاً للصوف الملون بالألوان المختلفة إذا جعل منفوشاً ، وههنا مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ إنما ضم بين حال الناس وبين حال الجبال ، كأنه تعالى نبه على أن تأثير تلك القرعة فى الجبال هو أنها صارت كالعهن المنفوش ، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها ! فالويل ثم الويل لابن آدم إن لم تتداركه رحمة ربه ، ويحتمل أن يكون المراد أن جبال النار تصير كالعهن المنفوش لشدة حمرتها .

﴿ المسألة الثانية ﴾ قد وصف الله تعالى تغير الأحوال على الجبال من وجوه (أولها) أن تصير قطعاً ، كما قال (ودكت الجبال دكا) ، (وثانيها) أن تصير كثيباً مهيلا ، كما قال (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) ثم تصير كالعهن المنفوش ، وهى أجزاء كالذر تدخل

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾

من كوة البيت لا تمسها الأيدى ، ثم قال فى الرابع تصـــير سراباً ، كما قال (وسيرت الجبال فكانت سراباً) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ لم يقل يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن المنفوش بل قال (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) لأن التكوير فى مثل هذا المقام أبلغ فى التحذير .

واعلم أنه تعالى لما وصف يوم القيامة قسم الناس فيه إلى قسمين فقال ﴿ فأما من ثقلت موازينه ﴾ واعلم أن فى الموازين قولين (أحدهما) أنه جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله ، وهذا قول الفراء قال ونظيره يقال : عندى درهم بميزان درهمك ووزن درهمك ودارى بميزان دارك ووزن دارك أى بحذائها (والثانى) أنه جمع ميزان ، قال ابن عباس الميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال فيؤتى بحسنات المطيع فى أحسن صورة ، فإذا رجح فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر فى أقبح صورة فيخف وزنه فيدخل النار . وقال الحسن فى الميزان له كفتان ولا يوصف ، قال المتكلمون إن نفس الحسنات والسيئات لا يصح وزنهما ، خصوصاً وقد انقضيا ، بل المراد أن الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن ، أو يجعل النور علامة الحسنات والظلمة علامة السيئات ، أو تصور صحيفة الحسنات بالصورة الحسنة وصحيفة السيئات بالصورة القبيحة فيظهر بذلك الثقل والخفة ، وتكون الفائدة فى ذلك ظهور حال صاحب الحسنات فى الجمع العظيم فيزداد سروراً ، وظهور حال صاحب السيئات فيكون ذلك كالفضيحة له عند الخلائق .

أما قوله تعالى ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ فالعيشة مصدر بمعنى العيش ، كالخيفة بمعنى الخوف ، وأما الراضية فقال الزجاج : معناه أى عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها وهى كقولهم لابن ، وتامر بمعنى ذو لبن وذو تمر ، ولهذا قال المفسرون تفسيرها مرضية على معنى يرضاها صاحبها .

ثم قال تعالى ﴿ وأما من خفت موازينه ﴾ أى قلت حسناته فرجحت السيئات على الحسنات قال أبو بكر رضى الله عنه إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفاً ، وقال مقاتل : إنما كان كذلك لأن الحق ثقيل والباطل خفيف .

فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾

أما قوله تعالى ﴿ فأمه هاوية ﴾ ففيه وجوه : (أحدها) أن الهاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة يهوى أهل النار فيها مهوى بعيداً ، والمعنى فمأواه النار ، وقيل للمأوى أم على سبيل التشبيه بالأم التي لا يقع الفزع من الولد إلا إليها (وثانيها) فأم رأسه هاوية في النار ذكره الأخفش ، والكلبي ، وقتادة قال لأنهم يهوون في النار على رؤوسهم (وثالثها) أنهم إذا دعوا على الرجل بالهلاك قالوا هوت أمه لأنه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه حزناً وثكلا ، فكأنه قيل (وأما من خفت موازينه) فقد هلك .

ثم قال تعالى ﴿ وما أدراك ما هيه ﴾ قال صاحب الكشاف هيه ضمير الداهية التي دل عليها قوله (فأمه هاوية) في التفسير (الثالث) أو ضمير (هاوية) والهاء للسكت فإذا وصل جاز حذفها والاختيار الوقف بالهاء لاتباع المصحف والهاء ثابتة فيه ، وذكرنا الكلام في هذه الهاء عند قوله (لم يتسنه ، فبهداهم اقتده ، ما أغنى عني ماليه) .

ثم قال تعالى ﴿ نار حامية ﴾ والمعنى أن سائر النيران بالنسبة إليها كأنها ليست حامية ، وهذا القدر كاف في التنبيه على قوة سخونتها ، نعوذ بالله منها ومن جميع أنواع العذاب ، ونسأله التوفيق وحسن المآب (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) .

تفسير سورة «القارعة»

وهي مكيةٌ بإجماع[٣]. وهي عَشْرُ آياتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ . مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي: القيامةُ والساعة، كذا قال عامَّةُ المفسِّرين. وذلك أنَّها تقرعُ الخلائقَ بأهوالها وأفزاعها. وأهلُ اللغةِ يقولون: تقولُ العرب: قَرَعَتْهُمُ القارِعةُ، وفَقَرَتْهُمُ الفاقِرة: إذا وقع بهم أمرٌ فظيع. قال ابن أحمر:

وقـارعـةٍ مِـن الأيـام لـولا ... سبيلُهُمُ لزاحَتْ عنك حِينا[٤]

وقال آخر:

متى تَقْرَعْ بمَرْوتِكم نَسُؤْكُمْ ... ولم تُوقَدْ لَنا في القِدْرِ نارُ[٥]

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] وهي الشديدةُ من شدائد الدَّهر.

---

(١) ذكره بنحوه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢/ ١٦٠ .

(٢) الكشاف ٤/ ٢٧٩ .

(٣) زاد المسير ٩/ ٢١٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٨ .

(٤) اللسان (عزز)، ووقع في (ظ): لراحت.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٢٧ .

قوله تعالى: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ استفهامٌ، أي: أيُّ شيء هي القارعة؟ وكذا ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ كلمةُ استفهامٍ على جهةِ التعظيمِ والتفخيم لشأنها، كما قال: ﴿ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ على ما تقدَّم.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝﴾

«يوم» منصوبٌ على الظَّرف، تقديرُه: تكونُ القارعةُ يومَ يكونُ الناسُ كالفراش المبثوث. قال قتادة: الفراشُ: الطيرُ الذي يتساقطُ في النار والسِّراج[(١)]. الواحدةُ فراشة، وقاله أبو عبيدة[(٢)]. وقال الفرَّاء[(٣)]: إنه الهَمَجُ الطائرُ من بَعوضٍ وغيرِهِ، ومنه الجراد. ويقال: هو أطيشُ من فراشة؛ قال:

طُـوَيِّـشٌ مِـن نَـفَـرٍ أَطْـيـاشِ ... أَطْـيَـشُ مـن طـائـرةِ الـفَـراشِ[(٤)]

وقال آخر:

وقـدْ كـانَ أقـوامٌ رَدَدْتُ قُـلُـوبَـهُـمْ ... عليهم وكانوا كالفَراشِ من الجَهْلِ[(٥)]

وفي «صحيح» مسلم عن جابر[(٦)]، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلي ومثَلُكُمْ كَمثَل رجلٍ أَوْقَدَ ناراً، فجعل الجنادِبُ والفَراشُ يَقَعْن فيها، وهو يذُبُّهنَّ عنها، وأنا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عن النار، وأنتم تَفَلَّتون مِن يَدي». وفي الباب عن أبي هريرة[(٧)].

والمبثوثُ: المتفرِّقُ. وقال في موضعِ آخَرَ: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]. فأوَّلُ

(١) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٩٣ .

(٢) في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٩ ، وفيه: طير لا بعوض ولا ذباب، هو الفراش.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢٨٦ ، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٢٨ .

(٤) ذكره ابن عادل في اللباب ٢٠/ ٤٧١ .

(٥) البيت للفرزدق، وهو في النقائض ١/ ١٣٠ ، ومنتهى الطلب ٥/ ٣١١ برواية:

وحـولـكَ أقـوامٌ رددتُ قـلـوبَـهـم ... عليهم فكانوا كالفراش من الجهل

(٦) برقم (٢٢٨٥)، وسلف ١٧/ ٦١ .

(٧) أخرجه أحمد (٧٣٢١) و(٨١١٧)، والبخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤)، وسلف ١٧/ ٦١ .

حالِهم كالفَراش لا وجهَ له، يَتحيَّر في كلِّ وجهٍ، ثم يكونون كالجراد؛ لأنَّ لها وجهاً تقصِدُه.

والمبثوث: المتفرِّقُ المنتشِر، وإنَّما ذكَّر على اللَّفظ، كقوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] ولو قال: المبثوثةِ [فهو][1] كقوله تعالى: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

وقال ابن عباس والفرَّاء: «كالفراشِ المبثوثِ»: كغَوغاء الجراد، يركبُ بعضُها بعضاً. كذلك الناسُ يجولُ بعضُهم في بعضٍ إذا بُعثوا[2].

قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥﴾

أي: الصوف الذي يُنْفشُ باليد، أي: تَصيرُ هباءً وتزول، كما قال جلَّ ثناؤه في موضعٍ آخَرَ: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦]. وأهلُ اللغة يقولون: العِهنُ: الصوفُ المصبوغ. وقد مضى في سورة «سَألَ سائلٌ»[3].

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

قد تقدَّم القولُ في المِيزان في «الأعراف والكهف والأنبياء»[4]. وأنَّ له كِفَّةً ولساناً توزنُ فيه الصُّحفُ المكتوبُ فيها الحسناتُ والسَّيئات[5]. ثم قيل: إنه ميزانٌ واحدٌ بيد جبريل يَزِنُ أعمالَ بني آدم، فعبَّر عنه بلفظِ الجمع. وقيل: موازين،

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٦ ، وسلف عنه قريباً بنحوه، ولم نقف عليه عن ابن عباس.

(٣) عند تفسير الآية (٨) منها.

(٤) ينظر ٩/ ١٥٦ ، و١٣/ ٣٩٣ ، و١٤/ ٢١٢ .

(٥) قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/ ٦٥ : وأمور الآخرة لا تعلم إلا بما جاء في القرآن، أو بما جاء عن رسول الله ﷺ، ولم يأت عنه عليه الصلاة والسلام شيء يصح في صفة الميزان.

كما قال:

فلِكُلِّ حادِثةٍ لَها مِيزانُ

وقد ذكرناه فيما تقدَّم[١]. وذكرناه أيضًا في كتاب «التذكِرة»[٢].

وقيل: إنَّ الموازين: الحُجَجُ والدلائل؛ قاله عبد العزيز بن يحيى، واستشهد بقول الشاعر:

قَد كُنتُ قبلَ لقائكم ذا مِرَّةٍ عِندي لكُلِّ مخاصِمٍ مِيزانُهُ[٣]

ومعنى «عِيشةٍ راضِيةٍ»، أي: عيشٍ مَرْضيٍّ، يرضاه صاحبُه.

وقيل: «عيشةٍ راضِيةٍ» أي: فاعلة للرضا، وهو اللِّينُ والانقيادُ لأهلها. فالفعلُ للعيشة لأنها أعطت الرضا مِن نفسِها، وهو اللِّينُ والانقياد. فالعيشةُ كلمةٌ تجمع النِّعَم التي في الجنة، فهي فاعلةٌ للرضا، كالفُرُش المرفوعة، وارتفاعُها مقدارُ مئةِ عام، فإذا دنا منها وليُّ اللهِ اتَّضَعتْ حتى يستويَ عليها، ثم ترتفعُ كهيئتها، ومثل الشجرة فروعها، كذلك أيضاً من الارتفاع، فإذا اشتهى وليُّ اللهِ ثمرتَها تَدلَّتْ إليه، حتى يتناولها وليُّ الله قاعداً وقائماً، وذلك قولُه تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢٣]. وحيثما مشى أو تَنقَّل من مكانٍ إلى مكان، جرى معه نهرٌ حيث شاء، عُلُوًّا وسُفْلًا، وذلك قولُه تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٦]. فيُروَى في الخبر: أنه يشير بقضيبه فيجري من غير أخدودٍ حيث شاء من قصوره وفي مجالسه[٤]. وهذه[٥] الأشياءُ كلُّها عيشةٌ قد أَعْطَتِ الرِّضا من نفسها، فهي فاعلةٌ للرضا، وهي انذلَّتْ وانقادَتْ بذْلاً وسماحة.

---

(١) ٢١١/١٤، وصدره: ملك تقوم الحادثات لعدله.

(٢) ص ٣٢٠.

(٣) سلف ١٩١/١٢، والكلام من النكت والعيون ٣١٨/٦ - ٣١٩.

(٤) ذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٣٣٩.

(٥) في (م): فهذه.

ومعنى ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ يعني جَهَنَّم. وسمَّاها أُمًّا، لأنَّه يأوي إليها كما يأوي إلى أمِّه؛ قاله ابن زيد(١). ومنه قولُ أمية بنِ أبي الصَّلْت:

فالأرضُ مَعْقِلنا وكانتْ أُمَّنا فيها مَقابِرُنا وفيها نُولَدُ(٢)

وسمِّيتِ النارُ هاوية، لأنه يهوِي فيها مع بُعْدِ قَعْرِها. ويُروَى أنَّ الهاوية اسمُ البابِ الأسفلِ من النار.

وقال قتادة: معنى «فأمُّه هاوِية»: فمصيرُه إلى النار(٣). عكرمةُ: لأنه يهوي فيها على أمِّ رأسه(٤). الأخفش: «أمُّه»: مستَقَرُّه، والمعنى متقارِبٌ. وقال الشاعر:

يا عمرو لو نالَتْكَ أرماحُنا كنتَ كَمَن تهوي به الهاوِيَهْ(٥)

والهاوية: المَهْواة. وتقول: هَوَتْ أمُّه، فهي هاوية، أي: ثاكِلَة، قال كعب بن سعد الغَنَوِيُّ:

هَوَتْ أُمُّه ما يبعثُ الصبحُ غاديا وماذا يؤدِّي الليلُ حين يَؤُوبُ(٦)

والمهوى والمَهْوَاة: ما بين الجبلين، ونحو ذلك. وتهاوَى القومُ في المَهْواة: إذا سقط بعضُهم في إثر بعض(٧).

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٩ ، وأخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٩٦ .

(٢) ديوان أمية ص ٥٢ ، والكلام من النكت والعيون ٦/ ٣٢٩ .

(٣) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٩٥ .

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٢٩ . وأخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٥ .

(٥) البيت لعمرو بن مِلْقَط شاعر جاهلي، كما في النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ص ٦٢ ، والخزانة ٩/ ٢١ ، وبلا نسبة في الصحاح (هوى). ووقع في النوادر والخزانة: يا أوس لو نالتك... وأوس هو ابن حارثة بن لأم الطائي، كما ذكر البغدادي.

(٦) الأصمعيات ص ٩٥ ، وأمالي القالي ٢/ ١٥٠ ، والصحاح (هوى)، والكلام منه، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٥٤ ، ومجمع الأمثال ٢/ ٣٩٠ ، والخزانة ١٠/ ٤٣٥ . والبيت من قصيدة في رثاء أبي المغوار الغنوي، وقوله: ما يبعث الصبح...، يريد أن هذين الوقتين يجددان ذكره ويثيران الحزن عليه؛ لأن الصباح وقت الغارة، والليل وقت طروق الضيفان. سمط اللآلي ٢/ ٧٧٣ .

(٧) الصحاح (هوى).

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾ الأصلُ: «ما هي»، فدخلت الهاءُ للسَّكْت. وقرأ حمزةُ والكسائيُّ ويعقوبُ وابن مُحيصن: «ما هيَ» بغير هاءٍ في الوصل، ووقفوا بها[1]. وقد مضى في سورة الحاقَّةِ بيانُه[2].

﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ أي: شديدةُ الحرارة. وفي «صحيح» مسلم عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «نارُكم هذه التي يُوقِدُ ابنُ آدمَ جزءٌ من سبعين جزءًا من حرِّ جهنَّم» قالوا: والله إنْ كانت لكافيةً يا رسول الله! قال: «فإنَّها فُضِّلَتْ عليها بتسعةٍ وستِّين جزءًا، كلُّها مثلُ حرِّها»[3].

وروي عن أبي بكرٍ ﷺ أنه قال: إنَّما ثَقُلَ ميزانُ مَن ثَقُلَ ميزانُه، لأنَّه وُضع فيه الحقُّ، وحُقَّ لميزانٍ يكونُ فيه الحقُّ أن يكون ثقيلاً. وإنَّما خفَّ ميزانُ مَن خفَّ ميزانُه، لأنَّه وُضع فيه الباطلُ، وحُقَّ لميزانٍ يكون فيه الباطلُ أن يكون خفيفاً.[4]

وفي الخبر عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ الموتى يَسألون الرجلَ يأتيهم عن رجلٍ مات قَبْلَه، فيقول: ذلك مات قبلي، أمَا مرَّ بكم؟ فيقولون: لا والله، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! ذُهِب به إلى أمِّه الهاوية، فبِئْسَتِ الأمُّ، وبئستِ المُرَبِّيةُ». وقد ذكرناه بكماله في كتاب «التذكرة»[5]، والحمد لله.

---

(١) التيسير ص ٢٢٥ ، والنشر ٢/ ١٤٢ عن حمزة ويعقوب، والمشهور عن الكسائي إثبات الهاء في الحالين.

(٢) عند تفسير الآية (١٩) منها.

(٣) صحيح مسلم (٢٨٤٣)، وهو عند أحمد (٨١٢٦)، والبخاري (٣٢٦٥)، وسلف عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الواقعة.

(٤) قطعة من وصية أبي بكر لعمر رضي الله عنهما، والخبر أخرجه بنحوه مطولاً ابن المبارك في الزهد (٩١٤)، وهناد في الزهد (٤٩٦)، وابن أبي شيبة ١٣/ ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(٥) ص٥٥ ، وأخرجه الثعلبي كما ذكر المصنف ثمة. وفي الباب عن أبي أيوب ﷺ عند ابن المبارك في الزهد (٤٤٣).

تفسير سورة القارعة

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) ﴾ .

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ : من أسماء يوم القيامة ، كالحاقة ، والطامة ، والصاخة ،والغاشية ، وغير ذلك .

ثم قال معظماً أمرها ومهولا لشأنها : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ؟ ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ أى : فى انتشارهم وتفرقهم ، وذهابهم ومجيئهم ، من حيرتهم مما هم فيه ، كأنهم فراش مبثوث [١] ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ [القمر:٧].

وقوله : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ يعنى : قد صارت كأنها الصوف المنفوش ، الذى قد شرَع فى الذهاب والتمزق .

قال مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ،والحسن ، وقتادة ، وعطاء الخراسانى ، والضحاك ، والسدى : ﴿الْعِهْنِ ﴾ : الصوف .

ثم أخبر تعالى عما يؤول إليه عمل العاملين ، وما يصيرون إليه من الكرامة أو الإهانة ، بحسب أعمالهم ، فقال : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى : رجحت حسناته على سيئاته ، ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ يعنى : فى الجنة . ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ أى : رجحت سيئاته على حسناته .

وقوله : ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ قيل : معناه : فهو ساقط هاو بأم رأسه فى نار جهنم . وعَبَّر عنه بأمه ـ يعنى [٢] دماغُه ـ رُوى نحو هذا عن ابن عباس ،وعكرمة ،وأبى صالح ، وقتادة ـ قال قتادة : يهوى فى النار على رأسه [٣] . وكذا قال أبو صالح : يهوون فى النار على رؤوسهم .

وقيل : معناه : ﴿ فَأُمُّهُ ﴾ التى يرجع إليها ، ويصير فى المعاد إليها ﴿ هَاوِيَةٌ ﴾ ، وهى اسم من أسماء النار .

قال ابن جرير : وإنما قيل : للهاوية أمه ؛ لأنه لا مأوى له غيرها [٤] .

---

(١) فى أ : « منتشر » . (٢) فى م : « وهو » . (٣) فى م : « على رؤوسهم » .
(٤) تفسير الطبرى (١٨٣/٣٠) .

وقال ابن زيد : الهاوية : النار ، هى أمه ومأواه التى يرجع إليها ويأوى إليها ، وقرأ : ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ [آل عمران: ١٥١] .

قال ابن أبى حاتم : وروى عن قتادة أنه قال : هى النار ، وهى مأواهم . ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ . نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى : حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال : إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين ، فيقولون : رَوِّحُوا أخاكم ، فإنه كان فى غَمّ الدنيا . قال : ويسألونه : ما فعل فلان (١) ؟ فيقول : مات ، أو ما جاءكم ؟ فيقولون : ذُهب به إلى أمه الهاوية (٢) .

وقد رواه ابن مَرْدَويّه من طريق أنس بن مالك مرفوعاً ، بأبسط من هذا . وقد أوردناه فى كتاب صفة النار ، أجارنا (٣) الله منها بمنه وكرمه (٤) .

وقوله : ﴿ نَارٌ حَامِيَة ﴾ أى : حارة شديدة الحر ، قوية اللهيب والسعير .

قال أبو مصعب ، عن مالك ، عن أبى الزناد ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة : أن النبى ﷺ قال: « نار بنى آدم التى تُوقدون جزء من سبعين جزء من نار جهنم » . قالوا : يا رسول الله ، إن كانت لكافية . فقال : « إنها فُضّلَت عليها بتسعة وستين جُزءاً » (٥) .

ورواه البخارى ، عن إسماعيل بن أبى أويس ، عن مالك . ورواه مسلم عن قُتيبة ، عن المغيرة ابن عبد الرحمن ، عن أبى الزِّناد ، به(٦) . وفى بعض ألفاظه : « إنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءا، كلهن مثل حرّها » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ،حدثنا حماد ــ وهو ابن سلمة ــ عن محمد بن زياد ــ سمع (٧) أبا هريرة يقول : سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : « نار بنى آدم التى توقدون ، جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » . فقال رجل : إن كانت لكافية . فقال : « لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً حَرَاً فحرا » (٨) .

تفرد به أحمد من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم .

---

(١) فى م ، أ : « بفلان » .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٨٢) .

(٣) فى أ : « أعاذنا » .

(٤) قال السيوطى فى الدر المنثور (٨/ ٦٠٦) : « وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا مات المؤمن تلقته أرواح المؤمنين يسألونه: ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة؟ فإن كان مات ولم يأتهم قالوا : خولف به إلى أمه الهاوية بئست الأم وبئست المربية حتى يقولوا : ما فعل فلان هل تزوج ؟ ما فعلت فلانة هل تزوجت ؟ فيقولون : دعوه فيستريح فقد خرج من كرب الدنيا » .

(٥) الموطأ برواية الزهرى برقم (٢٠٩٨) وهو فى رواية يحيى (٢/ ٩٩٤) .

(٦) صحيح البخارى برقم (٣٢٦٥) وصحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) .

(٧) فى م ، أ : « سمعت » .

(٨) المسند (٢/ ٤٦٧) .

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا سفيان ، عن أبى الزياد [(١)] ، عن الأعرج ، عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ ــ وعمرو ، عن يحيى بن جَعْدَة ــ : « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، وضربت [(٢)] بالبحر مرتين ، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد» [(٣)] .

وهذا على شرط الصحة [(٤)] ، ولم يخرجوه من هذا الوجه ، وقد رواه مسلم فى صحيحه من طريق [ابن أبى الزناد] [(٥)] [(٦)] .

ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود ، وأبى سعيد الخدرى : « ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً » [(٧)] .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا [(٨)] عبد العزيز ــ هو ابن محمد الدراوردى ــ عن سُهَيل عن أبيه ،عن أبى هُريرة ،عن النبى ﷺ قال : « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم » [(٩)] .

تفرد به أيضاً من هذا الوجه ، وهو على شرط مسلم أيضا .

وقال أبو القاسم الطبرانى : حدثنا أحمد بن عمرو الخلال ، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى ، حدثنا مَعْن بن عيسى القزاز ، عن مالك ، عن عَمّه أبى سُهَيل ، عن أبيه ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهى أشد سواداً من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفاً » [(١٠)].

وقد رواه أبو مصعب ، عن مالك ، ولم يرفعه . وروى الترمذى وابن ماجة ، عن عباس الدَّورىّ ، عن يحيى ابن أبى بُكَيْر : حدثنا شريك ، عن عاصم ، عن أبى صالح ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت ، فهى سوداء مظلمة » [(١١)] .

وقد روى هذا من حديث أنس [(١٢)] وعمر بن الخطاب .

(١) فى أ : « عن أبى الزناد » .
(٢) فى أ : « وضرمت » .
(٣) المسند (٢/ ٢٤٤) .
(٤) فى م ، أ : « على شرط الصحيحين » .
(٥) زيادة من م .
(٦) صحيح مسلم برقم (٢٨٤٣) .
(٧) أما حديث ابن مسعود ، فهو فى مسند البزار برقم (١٨٦٤) من طريق عبيد بن إسحاق ، عن زهير ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون ، عن عبد الله بن مسعود ،رضى الله عنه ، وقال البزار : « هكذا رواه زهير ولا نعلم رواه عن زهير إلا عبيد بن إسحاق . ورواه عمرو بن ثابت ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو الأصم ، عن عبد الله ، عن النبى ﷺ نحوه ، ورواه غير عمرو ابن ثابت ، عن أبى إسحاق ، عمرو الأصم ، عن عبد الله موقوفاً » . وأما حديث أبى سعيد ، فقد رواه أيضاً الترمذى فى السنن برقم (٢٥٩٠) من طريق فراس ، عن عطية ، عن أبى سعيد ــ رضى الله عنه ــ وقال الترمذى : «هذا حديث حسن غريب » .
(٨) فى أ : « بن » .
(٩) المسند (٢/ ٣٧٩) .
(١٠) المعجم الأوسط برقم (٤٨٤٣) « مجمع البحرين » وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٣٨٧) : « رجاله رجال الصحيح » .
(١١) سنن الترمذى برقم (٢٥٩١) وسنن ابن ماجة برقم (٤٣٢٠) وقال الترمذى : « حديث أبى هريرة فى هذا موقوف أصح ، ولا أعلم أحداً رفعه غير يحيى بن بكير عن شريك » .
(١٢) حديث أنس رواه ابن مردويه والبيهقى فى شعب الإيمان من طريق مبارك بن فضالة ، عن ثابت ، عن أنس مرفوعاً ، وقد تقدم عند تفسير الآية : ٨١ من سورة التوبة .

وجاء فى الحديث ــ عند الإمام أحمد ــ من طريق أبى عثمان النَّهدى ، عن أنس ــ وأبى نضرة العَبْدىّ ، عن أبى سعيد وعَجْلان مولى المُشْمَعّل ، عن أبى هريرة ــ عن النبى ﷺ أنه قال : « إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان يغلى منهما دماغه » [١] .

وثبت فى الصحيح [٢] أن رسول الله ﷺ قال : « اشتكت النار إلى ربها فقالت : يا رب ، أكل بعضى بعضاً ، فأذن لها بنَفَسين : نفس فى الشتاء ، ونفس فى الصيف . فأشد ما تجدون فى الشتاء من بردها ، وأشد ما تجدون فى الصيف من حرها » [٣] .

وفى الصحيحين : « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة ، فإن شدة الحر من فَيح جَهَنم » [٤] .

آخر تفسير سورة « القارعة »

(١) حديث أبى سعيد فى المسند (٣/١٣) وحديث أبى هريرة فى المسند (٢/ ٤٣٢) .
(٢) فى م : « فى الصحيحين » .
(٣) صحيح البخارى برقم (٣٢٦٠) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .
(٤) صحيح البخارى برقم (٥٣٣) وصحيح مسلم برقم (٦١٥) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

١٠١ ـــ سورة القارعة

(مكية وهى إحدى عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ ١٠١ القارعة

مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ ١٠١ القارعة

وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ ١٠١ القارعة

حيث التفت إلى الخطاب فى قوله تعالى وجعل لكم السمع والأبصار الآية بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه
* من روحه إيذاناً بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما أشير إليه هناك (بهم) بذواتهم
* وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) يوم إذ يكون ماذكر من بعث مافى القبور وتحصيل مافى
* الصدور (لخبير) أى عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علماً موجباً للجزاء متصلا به كما ينبىء عنه تقييده بذلك اليوم وإلا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدماً عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السماك أن ربهم بهم يومئذ خبير . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العاديات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعاً .

﴿ سورة القارعة مكية وآيها إحدى عشرة ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهى القيامة التى مبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر فى سورة التكوير سميت بها لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الأفزاع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار

٢ والانتثار والأرض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف وهى مبتدأ خبره قوله تعالى (ما القارعة) على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب فى أن مدار إفادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة مالا القارعة أى أى شىء عجيب هى

٣ فى الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل وقوله تعالى (وما أدراك ما القارعة) تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها بحيث لا تكاد

يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ١٠١ القارعة

وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ ١٠١ القارعة

فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ ١٠١ القارعة

تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما فى حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل إلى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت فى موقع المفعول الثانى له والجملة الكبيرة معطوفة على ماقبلها من الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ الأول أى وأى شىء أعلمك
٤ ماشأن القارعة ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بإعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين أى هى يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعى كتطاير الفراش إلى النار أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فإنه يدريك ماهى هذا وقد قيل إنه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أى تقرع يوم
٥ يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أى كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف فى تفرق أجزائها وتطايرها فى الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهى وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعا صفصفاً لاترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعى الذى هو إسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون إلا بعد البعث قطعاً وقد مر تمام الكلام فى سورة النمل
٦ وقوله تعالى (فأما من ثقلت موازينه) الخ بيان إجمالى لتحزب الناس إلى حزبين وتنبيه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما إثر بيان الأحوال الشاملة للكل والموازين إما جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضى الله عنهما إنه ميزان له لسان وكفتان لايوزن فيه إلا الأعمال قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر إليه الخلائق إظهاراً

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ ١٠١ القارعة

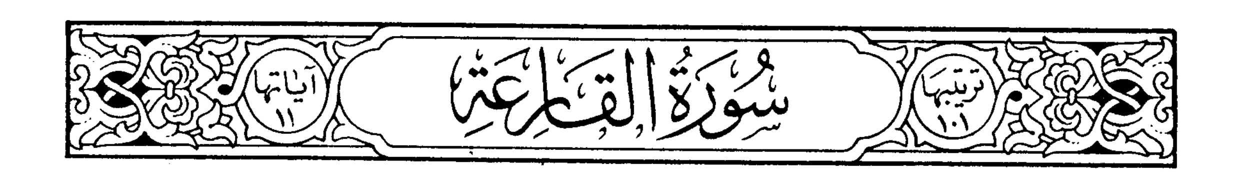
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ ١٠١ القارعة

فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ١٠١ القارعة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ ١٠١ القارعة

نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ ١٠١ القارعة

للمعدلة وقطعاً للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعمش
والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا إن الميزان لايتوصل به إلا إلى معرفة مقادير الأجسام
فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التى هى أعراض منقضية وقيل إن الأعمال الظاهرة فى هذه
النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح وقد روى
عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور
٧ قبيحة فتوضع فى الميزان أى فمن ترجحت مقادير حسناته (فهو فى عيشة راضية) أى ذات رضا أو
٩،٨ مرضية (وأما من خفت موازينه) بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته (فأمه)
• أى فأواه (هاوية) هى من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها. روى أن أهل النار تهوى
فيها سبعين خريفاً وقيل إنها اسم للباب الأسفل منها وعبر عن المأوى باللام لأن أهلها يأوون إليها
كما يأوى الولد إلى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبي أن المعنى فأم رأسه هاوية فى قعر جهنم لأنه يطرح
١١،١٠ فيها منكوساً والأول هو الأوفق لقوله تعالى (وما أدراك ماهيه) (نار حامية) فإنه تقرير لها
بعد إبهامها والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهى ضمير الهاوية والهاء للسكت
وإذا وصل القارىء حذفها وقيل حقه أن لايدرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة فى المصحف وقد
أجيز إثباتها مع الوصل. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه
يوم القيامة.



مكية بلا خلاف وآيها إحدى عشرة آية في الكوفي وعشر في الحجازي وثمان في البصري والشامي ومناسبتها لما قبلها أظهر من أن تذكر.

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ
﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ
رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ
حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * القارِعَةُ ما القَارِعَةُ وما أدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ**﴾ الجمهور على أنها القيامة نفسها ومبدؤها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق وقيل صوت النفخة. وقال الضحاك: هي النار ذات التغيظ والزفير وليس بشيء. وأيًا ما كان فهي من القرع وهو الضرب بشدة بحيث يحصل منه صوت شديد وقد تقدم الكلام فيها وكذا ما يعلم منه إعراب ما ذكر في الكلام على قوله تعالى ﴿الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة﴾ [الحاقة: ١ ـ ٣] وقرأ عيسى «القارعة» بالنصب وخرج على أنه بإضمار فعل أي اذكر القارعة وقوله تعالى ﴿**يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ**﴾ قيل أيضاً منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فإنه يدريك ما هي. وقال الزمخشري: ظرف لمضمر دلت عليه القارعة أي تقرع يوم. وقال الحوفي: ظرف تأتي مقدراً وبعضهم قدر هذا الفعل مقدماً على القارعة وجعلها فاعلاً له أيضاً. وقال ابن عطية: ظرف للقارعة نفسها من غير تقدير ولم يبين أي القوارع أراد. وتعقبه أبو حيان بأنه إن أراد اللفظ الأول ورد عليه الفصل بين العامل وهو في صلة أل والمعمول بالخبر وهو لا يجوز وإن أراد الثاني أو الثالث فلا يلتئم معنى الظرف معه. وأيد بقراءة زيد بن علي «يومُ» بالرفع على ذلك وقدر بعضهم المبتدأ وقتها والفراش قال في الصحاح: جمع فراشة التي تطير وتهافت في النار وهو المروي عن قتادة. وقيل: هو طير رقيق يقصد النار ولا يزال يتقحم على المصباح ونحوه حتى

يحترق. وقال الفرّاء: هو غوغاء الجراد الذي ينتشر في الأرض ويركب بعضه بعضاً من الهول وقال صاحب التأويلات: اختلفوا في تأويله على وجوه لكن كلها ترجع إلى معنى واحد وهو الإشارة إلى الحيرة والاضطراب من هول ذلك اليوم واختار غير واحد ما روي عن قتادة وقالوا: شبهوا في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والمجيء والذهاب على غير نظام والتطاير إلى الداعي من كل جهة حين يدعوهم إلى المحشر بالفراش المتفرق المتطاير قال جرير:

إن الفرزدق ما علمت وقومه ... مثل الفراش غشين نار المصطلي

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ أي الصوف مطلقاً أو المصبوغ كما قيده الراغب به وقد تقدم الكلام فيه في المعارج وكان بمعنى صار أي وتصير جميع الجبال كالعهن ﴿الْمَنْفُوشِ﴾ المفرق بالأصبع ونحوها في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو حسبما ينطق به غير آية. وقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ إلى آخره بيان إجمالي لتحزب الناس حزبين وتنبيه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما إثر بيان الأحوال الشاملة للكل. وهذا إشارة إلى وزن الأعمال وهو مما يجب الإيمان به حقيقة ولا يكفر منكره ويكون بعد تطاير الصحف وأخذها بالأيمان والشمائل وبعد السؤال والحساب كما ذكره الواحدي وغيره. وجزم به صاحب كنز الأسرار بميزان له لسان وكفتان كإطباق السماوات والأرض والله تعالى أعلم بماهيته. وقد روي القول به عن ابن عباس والحسن البصري وعزاه في شرح المقاصد لكثير من المفسرين ومكانه بين الجنة والنار كما في نوادر الأصول وذكر يتقبل به العرش يأخذ جبريل عليه السلام بعموده ناظراً إلى لسانه وميكائيل عليه السلام أمين عليه والأشهر الأصح أنه ميزان واحد كما ذكرنا لجميع الأمم ولجميع الأعمال فقوله تعالى ﴿موازينه﴾ وهو جمع ميزان وأصله موزان بالواو لكن قلبت ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها قيل للتعظيم كالجمع في قوله تعالى ﴿كذبت عاد المرسلين﴾ [الشعراء: ١٢٣] في وجه أو باعتبار أجزائه نحو شابت مفارقه أو باعتبار تعدد الأفراد للتغاير الاعتباري كما قيل في قوله:

لمعان برق أو شعاع شموس

وزعم الرازي على ما نقل عنه أن فيه حديثاً مرفوعاً. وقال آخرون: توزن نفس الأعمال فتصور الصالحة بصور حسنة نورانية ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله تعالى، وتصور الأعمال السيئة بصور قبيحة ظلمانية ثم تطرح في كفه الظلمة وهي الشمال فتخف بعدل الله تعالى وامتناع قلب الحقائق في مقام خرق العادات ممنوع أو مقيد ببقاء آثار الحقيقة الأولى. وقد ذهب بعضهم إلى أن الله تعالى يخلق أجساماً على عدد تلك الأعمال من غير قلب لها وادعى أن فيه أثراً. والظاهر أن الثقل والخفة مثلهما في الدنيا فما ثقل نزل إلى أسفل ثم يرتفع إلى عليين وما خف طاش إلى أعلى ثم نزل إلى سجين وبه صرح القرطبي وقال بعض المتأخرين: هما على خلاف ما في الدنيا وأن عمل المؤمن إذا رجح صعد وثقلت سيئاته وأن الكافر تثقل كفته لخلو الأخرى من الحسنات ثم تلا ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠] وفي كونه دليلاً نظر وذكر بعضهم أن صفة الوزن أن يجعل جميع أعمال العباد في الميزان مرة واحدة الحسنات في كفة النور عن يمين العرش جهة الجنة، والسيئات في كفة الظلمة جهة النار، ويخلق الله تعالى لكل إنسان علماً ضرورياً يدرك به خفة أعماله وثقلها. وقيل نحوه إلاّ أن علامة الرجحان عمود من نور يثور من كفة الحسنات حتى يكسو كفة السيئات وعلامة الخفة عمود ظلمة يثور من كفة السيئات حتى يكسو كفة الحسنات

فالكيفيات أربع وستظهر حقيقة الحال بالعيان وهو كما قال القرطبي لا يكون في حق كل أحد لما في الحديث الصحيح «فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن» الحديث. وأحرى الأنبياء عليهم السلام وقوله سبحانه ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ [الرحمن: ٤١] وإنما يبقى الوزن لمن شاء الله تعالى من الفريقين وذكر القاضي منذر بن سعيد البلوطي أن أهل الصبر لا توزن أعمالهم وإنما يصب لهم الأجر صباً. والظاهر أنه يدرج المنافق في الكافر والحق أن أعمالهم مطلقاً توزن لظواهر الآيات والأحاديث الكثيرة. والمراد في الآية وزناً نافعاً. والصحيح أن الجن مؤمنهم وكافرهم كالإنس في هذا الشأن كما قرر في محله. والتقسيم فيما نحن فيه على ما سمعت عن القرطبي بالنسبة إلى من توزن أعماله لا بالنسبة إلى الناس مطلقاً. وأنكر المعتزلة الوزن حقيقة وجماعة من أهل السنة والجماعة منهم مجاهد والضحاك والأعمش قالوا: إن الأعمال أعراض إن أمكن بقاؤها لا يمكن وزنها فالوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل، وجوزوا فيما هنا أن تكون الموازين جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله تعالى وأن معنى ثقلها رجحانها وروي هذا عن الفراء أي فمن ترجحت مقادير حسناته ورتبها ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ المشهور جعل ذلك من باب النسب أي ذات رضا. وجوز أن تكون ﴿راضية﴾ بمعنى المفعول أي مرضية على التجوز في الكلمة نفسها وأن يكون الإسناد مجازياً وهو حقيقة إلى صاحب العيشة. وجوز أن يكون في الكلام استعارة مكنية وتخييلية على ما قرر في كتب المعاني لكن ذكر بعض الأجلّة ها هنا كلاماً نفيساً وهو أن ما كان للنسب يؤول بذي كذا فلا يؤنث لأنه لم يجر على موصوف فألحق بالجوامد ونقل عن السيرافي أنه قال: يقدح فيما عللوا به سقوط الهاء في ﴿عيشة راضية﴾ وفيه وجهان أحدهما أن تكون بمعنى أنها راضية أهلها فهي ملازمة لهم راضية بهم. والآخر أن تكون الهاء للمبالغة كعلامة وراوية ووجه بأن الهاء لزمت لئلا تسقط الياء فيخل بالبنية كناقة مشلية وكلبة مجرية وهم يقولون ظبية مطفل ومشدان وباب مفعل ومفعال لا يؤنث. وقد ادخلوا الهاء في بعضه كمصكة انتهى ثم قال: إن هذا حقيق بالقبول ومحصله الجواب بوجوه أحدهما أن ﴿راضية﴾ هنا فيه ليس من باب النسب بل هو اسم فاعل أريد به لازم معناه لأن من شاء شيئاً ورضي به لازمه فهو مجاز مرسل أو استعارة. ويجوز أن يراد أنه مجاز في الإسناد وما ذكر بيان لمعناه الثاني أن الهاء للمبالغة ولا تختص بفعال ولذا مثل براوية أيضاً والثالث أنه يجوز إلحاق الهاء في المعتل لحفظ البنية ومصكة إما شاذاً ولتشبيه المضاعف بالمعتل انتهى. فاحفظه فإنه نفيس خلا عنه أكثر الكتب.

﴿وأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ثقلت سيئاته على حسناته ﴿فَأُمُّهُ﴾ أي فمأواه كما قال ابن زيد وغيره ﴿هَاوِيَةٌ﴾ أريد بها النار كما يؤذن به قوله تعالى ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ فإنه تقرير لها بعد إبهامها والإشعار بخروجها عن المعهود للتفخيم والتهويل. وذكر أن إطلاق ذلك عليها لغاية عمقها وبعد مهواها، فقد روي أن أهل النار تهوي فيها سبعين خريفاً وخصها بعضهم بالباب الأسفل من النار وعبر عن المأوى بالأم على التشبيه بها فالأم مفزع الولد ومأواه وفيه تهكم به. وقيل: شبه النار بالأم في أنها تحيط به إحاطة رحم الولد بالأم. وعن قتادة وأبي صالح وعكرمة والكلبي وغيرهم: المعنى فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوساً. وفي رواية أخرى عن قتادة هو من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة: هوت أمه لأنه إذا هوى أي سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلاً وحزناً ومن ذلك قول كعب بن سعد الغنوي:

هوت أمه ما يبعث الصبح غادياً ... وماذا يرد الليل حين يؤوب

وفي الكشف أن هذا أحسن ليطابق قوله سبحانه ﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ وما فيه من المبالغة. وقال الطيبي: إنه الأظهر وللبحث فيه مجال. والضمير أعني هي عليه للداهية التي دل عليها الكلام وعلى ما قدمنا لهاوية وعلى الوجه الثاني لما يشعر به الكلام كأنه قيل: فأم رأسه هاوية في نار وما أدراك ماهيه الخ. والهاء الملحقة في ﴿هِيَهْ﴾ هاء السكت وحذفها في الوصل ابن أبي إسحاق والأعمش وحمزة وأثبتها الجمهور. ورفع ﴿نَارٌ﴾ على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هي نار، و ﴿حَامِيَةٌ﴾ نعت لها وهو من الحمى اشتداد الحر قال في القاموس: حمى الشمس والنار حمياً وحمياً وحمواً اشتد حرهما. وجعله بعضهم على ما قيل من حميت القدر فهي محمية ففسره بذات حمى وهو كما ترى. وقرأ طلحة «فإِمه» بكسر الهمزة قال ابن خالويه وحكى ابن دريد أنها لغة وأما النحويون فيقولون لا يجوز كسر الهمزة إلا أن يتقدمها كسرة أو ياء والله تعالى أعلم.